



أخير بدأ العالم يدرك أن مرحلة الأسد غير مأسوف عليها، قد أوشكت على الأفول ، وأن روسيا اقتنعت بالثمن المدفوع إن كان هناك من سيدفع هذا الثمن، فيعد تأكيد غياب السعودية عن مؤتمر جنيف رسمياً لم يعد هناك من مشتر، لهذا بدأت روسيا التفكير جدياً بإعداد سيناريو مرضي لها وللغرب، و لكن بنفس الوقت نجد أن اجتماع مجموعة الاتصال استثنى الكثير من أصحاب العلاقة،

إضافة إلى الممثلين عن المعارضة السورية، وللحظة الأخير سعت روسيا لتفييب الدول الفاعلة في العمل الثوري الداخلي، وبالتالي نجد أن الاجتماع كان المفروض فيه أن يضم إضافة إلى إيران والسعودية اللتان استبعدتا؛ مجموعة العمل الوزارية، التي تم توجيه الدعوات لها والتي تتضمن "وزراء خارجية الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، بالإضافة إلى تركيا، أيضاً الأمينين العامين للأمم المتحدة بان كي مون والجامعة العربية نبيل العربي والمسؤوله العليا للخارجية والأمن في الاتحاد الأوروبي كاثرين آشتون"

أما من الدول العربية فاقتصرت على وزراء خارجية العراق بصفته رئيس القمة العربية والكويت لأنها ترأس مجلس وزراء خارجية الجامعة العربية، وقطر لأنها ترأس لجنة المتابعة حول سوريا في الجامعة العربية. وحسب تصريحات فوزي فإن «أهداف مجموعة العمل حول سوريا هي تحديد الخطوات والإجراءات لضمان التنفيذ الكامل للخطة السداسية وقرارى مجلس الأمن رقم 2042 و2043، بما في ذلك وقف فوري للعنف بجميع أشكاله». وقال: إن مجموعة العمل حول سوريا يجب أن «تفق على خطوط توجيهية ومبادئ لانتقال سياسي يقوده السوريون يليّ تطلعات الشعب السوري المشروعة وأن تتفق على التحركات التي ستجعل هذه الأهداف واقعاً على الأرض

وبالتالي فإن قبول سوريا بالمبادرة الروسية وما تتضمنها له مدلولين:

- الأول: أن الأسد وعصابته باقىاً مقتنيين بأن بقائهم في السلطة أصبح ضرباً من المستحيل في المرحلة القادمة، وأن العنف الذي تمارسه كتائب الأسد هو تمرير للوقت ريثما تنضج الساحة الدولية، وتنتج عملية سياسية يكون الأسد وكتابه جزء منها لتفادي عملية الحساب العسير الذي ينتظر كل من ارتكب الجرائم خلال السنة والنصف الماضية.
- المدلول الآخر: أن الأسد يريد مبادرة أخرى ليشتري بها الوقت، ويتعامل معها كما تعامل مع المبادرات الماضية، ويطبق

عليها نفس الخطوات السابقة بدءاً من القبول والترحيب، ومن ثم التحايل، وانتهاء بافشلها والانقلاب عليها، ليعود العالم ويبحث عن مبادرة أخرى. لكن ربما الغرب هذه المرة بات يخشى من الالتفاف على مبادرة عنان، وكل ما يريد هو مناقشة مرحلة ما بعد الأسد، أما روسيا فهي تريد أن تبيع وتشتري بالأسد، وهذا ما جعل بوتين يحاول تخويف إسرائيل من مرحلة ما بعد الأسد؛ وأنه في حال ضمنت له الضغط على حلفاءها بالإبعاد عن مناقشة موضوع إزاحة الأسد عن سدة الحكم في سوريا، يضمن لها عدم انتقال الأسلحة الكيميائية إلى حزب الله.

والأمر الغاية في الأهمية اليوم هو تصريحات أردوغان بعد إسقاط الطائرة، «إنه لا نية لدى تركيا لتهاجم سوريا على خلفية إسقاط مقاتلتها» لكنه أضاف إن «قواعد الاشتباك الخاصة بالجيش التركي قد تغيرت»، وجدد قوله إن بلاده «ستُعيد كل من يتحدى عظمة تركيا إلى حجمه». وبالتالي فإنزعيم العثماني لن يرضى بأقل من إسقاط الأسد ثمناً لهذا الاستخفاف بالدولة العثمانية الجديدة، وأن قواعد العمل العسكري الميداني الجديد سوف تدخل متغيرات ربما تحسم المعركة، وهذا ما دلت عليها مؤشرات عديدة منها إعلان وزيرة الخارجية القبرصية، ايراتو كوزاكو ماركوليس، أن بلادها مستعدة لتنظيم عمليات إجلاء الرعايا الأجانب من سوريا بالتنسيق مع نظرائها الأوروبيين. اعتباراً من بداية تموز المقبل، وهذا مؤشر إما على بوادر عمل عسكري دولي أو تدخل خارجي، أو مؤشر على انهيار أمني قريب.

وراء العبارات الناصعة يكمن لهيب الشمس المحرقة فعبارة: "التحضير لانتقال ديموقратي يقود إلى دخول سوريا إلى عهد ما بعد الأسد"

وعبرة "إطلاق حوار سياسي (حول سوريا) من دون شروط مسبقة أو حصيلة محددة مسبقاً" وإيجاد "حل سياسي له صدقية للأزمة السورية" تختفي كثيراً من الأجندة السياسية التي لا يعرف مداها ولا مغزاها، وأن حسم الأمور بطريقة المبادرات الدولية لن ينهي المسألة السورية، ولن يسلب إرادة الثوار على الأرض، فالتأثيرات على الأرض توحى بأن مفاتيح العمل الميداني بدأت تنتقل ويتتسارع ملفت نحو الثوار، وتجاهل الروس لمطالب الشعب السوري ولمتغير الثوار، لن يغير من قواعد اللعبة الميدانية ، والذي أصبح حقيقة يتعامل معها الجميع حتى الأسد نفسه، عندما صرحت حكومته العتيدة «نحن في حالة حرب حقيقة، بكل ما تعني الكلمة من معنى، وفي حالة الحرب تنصرف جهودنا لتحقيق الانتصار». وهذا مؤشر أن الأسد بدأ يدرك محیطه بصورة واقعية، بعد أن تجاهلها طوال الفترة الماضية، وأنه يتلمس الخطر الجدي الذي باتت تشكّله المعارضة المسلحة على مستقبله السياسي في سوريا. وهذا ما استوجب ردّاً من المفكر عزمي بشارة عندما قال: "إذا كان يريد الأسد الانتصار فيما يعتقد حربا؛ لا يفترض به أن يتوقع أن الطرف الآخر يريد الهزيمة، والفرق هنا أن الطرف الآخر هو الشعب، والشعب هو الأقوى؛ وهو القادر على الانتصار، وسوف ينتصر في النهاية".

المصادر: